

Review Article

ظاهرة الوضوح والغموض في شعر المديح النبوي بين حامد محمود إبراهيم الهجري، ومحمد جميل سادس، دراسة موازنة نقدية

Dr Shehu Aliyu^{1*}, Umar Abdullahi Kajiji²

¹Arabic Department, Federal University Gusau, Zamfara State, Nigeria

²Department of Arts and Social Science Education, Arabic Section, Ahmadu Bello University Zaria, Nigeria

Article History

Received: 20.03.2025

Accepted: 26.04.2025

Published: 29.04.2025

Journal homepage:

<https://www.easpublisher.com>

Quick Response Code



Abstract: This article, titled “The Phenomenon of Clarity and Ambiguity in the Poetry of Prophetic Praise: A Comparative and Critical Study between Hamid Mahmud Ibrahim Alhijiry and Muhammad Jamilu Sadisu”, conducts a comparative and critical analysis of the prophetic praise poetry of the two poets. Drawing on the Arabic critical theory of Clarity and Ambiguity, the study identifies elements of excellence in their poetic expression. The article begins with an introduction that outlines the aims, significance, research problem, and methodology. It then provides a brief overview of the poets' biographies, examines the literal and technical meanings of Clarity and Ambiguity within the framework of Arabic literary criticism, and discusses the importance of applying this theory to literary analysis. A comparative analysis of selected prophetic eulogies by both poets follows. The study adopts an analytical approach, and the findings reveal that both poets demonstrate equal proficiency in the use of clear diction, sentence structure, and rhetorical imagery.

Keywords: Prophetic Praise, Poetry, Literary Criticism, Comparative Criticism, Arabic Literary Theory.

Copyright © 2025 The Author(s): This is an open-access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (CC BY-NC 4.0) which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium for non-commercial use provided the original author and source are credited.

مقدمة:

تمكنت اللغة العربية في نيجيريا بدخول الإسلام فيها، حتى صارت اللغة العربية لغة العلم والفكر، ولغة رسمية لمملكتي برنو وصوكتو، إذ كانت لغة توثيق العلاقات الدبلوماسية مع بعض الدول العربية، بل صارت لغة كتابة جميع المدونات أو السجلات التاريخية لجميع دول غرب أفريقيا.

فصار تمكن اللغة العربية عاملاً رئيسياً لظهور كثرة الإنتاج الأدبي والديني، والفكري والتاريخي في الدولة، الأمر الذي أدى إلى وجود آثار علمية وأدبية قيمة لا تقل قيمة وأهمية عما أنتجه العرب الأحناف.

أهداف المقال:

يهدف هذا المقال إلى:

- تسليط الضوء على بعض انتاجات أدباء نيجيريا.
- عقد الموازنة بين الشعارين النيجيريين في شعر المديح.
- تطبيق النظرية النقدية لظاهرة الوضوح والغموض لبعض الإنتاج الأدبي للشعارين النيجيريين.

أهمية المقال:

تتلور أهمية هذا المقال في:

- إبراز بعض الإنتاج الأدبي لبعض شعراء نيجيريا.

- تمحيص الإنتاج الأدبي النيجيري لبلورة مواضع الحسن والجمال فيها، وفصح مواطن القبح والغموض فيها.
- توضيح الكيفية الناجحة لعقد الموازنة بين شاعرين عند توظيف النظرة النقدية لظاهرة الوضوح والغموض لدى النقاد.

إشكالية المقال:

يحاول هذا المقال الإجابة للإشكالية التالية: إن كانت اللغة العربية متمكنة في دولة نيجيريا، فهل كان للنيجيريين شعراء؟ وهل يمكن إخضاع قصائدهم بمقياس النظرية الوضوح والغموض في النقد العربي؟ للإزالة تلك الإشكالية وظف الباحثان المنهج التالي:

منهج المقال:

وظف الباحثان المنهج الوصفي التحليلي لمناسبه لطبيعة الدراسة، حيث يعرض الباحثان قصيدي المديح للشاعرين النيجيريين وتطبيق نظرية ظاهرة الوضوح والغموض عليها لتنقية ما فيها من الحسن والجودة، وما فيها من القبح والبشاعة.

المبحث الأول: في نبذة تعريفية عن الشاعرين:

المطلب الأول: التعريف بحامد محمود إبراهيم الهجري:

هو حامد بن محمود بن إبراهيم بن أحمد الملقب بـ الهجري، من قبيلة يُورُوبا إحدى كبريات قبائل نيجيريا الثلاثة، ولد وترعرع في قرية أُيغُورُو، شمال مدينة إلورن تقريبا، وكانت ولادته يوم الجمعة التاسع خلون من شهر مائو، سنة 1976م. (أبو بكر محمد رضوان، (2015م) عاصمة ولاية كُورَا على بعد خمسين كيلومتر ص-12)

نشأ حامد في قريته وترى بين حضانة أبويه، متمتعا بتربية إسلامية، وبعد انفصاله من المرحلة الطفولية نزح إلى مدينة إلورن، في كفالة عمه معالي القاضي أحمد بُيغُوري، الذي قام بدوره من الكفالة بمثل جانبنا نابضا من تربيته وتثقيفه، كالأب الحنون والناصح الشفيق، فانتظامه في الكتاب فتعلم قدرا كبيرا من قراءة القرآن الكريم، على ما هو عادة مسلمي شمال نيجيريا، من تعليم أولادهم قراءة القرآن الكريم في السنوات المبكرة، ثم رأى أن يجمع دراسته الكتابية بالدراسة النظامية، فألحقه بالمدرسة الابتدائية على رغم استنكاف أبيه، بعد المطالبة المتكررة من قبل الولد وكفيله، ومن هنا بدى ذكائه الوهاج بشكل إيجابي وعبقري نادرة لا يستهان بها، حيث يحفظ كل ما سمع وقرأ في ثوان معدودة. (أبو بكر محمد رضوان، (2015م) ص-13)

وفي السنة 1993م تم انتقاله من إلورن إلى مدينة كُنو على رضى من كفيله لمواصلة الدراسة النظامية هناك، ولحق بمدرسة دار الهجرة لدراسات اللغة العربية والإسلامية، وحصل على شهادة الإعدادية والثانوية بتقدير الامتياز وفي السنة 1999م. (أبو بكر محمد رضوان، (2015م) ص-13).

لم يأل الهجري جهده الفردي للطلب حتى نال شهادة الدبلوم للمرحلة التمهيدية في اللغة العربية عام 2004م. لم يكتف بهذا القدر حتى سجل الدراسة لمتطلبات الحصول على شهادة الماجستير في اللغة العربية، فقد سخر الله له امتلاك زمام اللغة العربية بقسط وافر اكتسبها عن كثرة اطلاعه في التراث العربي، القديم والحديث، مما أمكنه أن يكون شاعرا مجيدا وكاتباً فكرياً فطنا، الصفتان اللتان يندران اجتماعهما في شخص، فتمت مناقشة الرسالة الماجستير عام 2007م. (أبو بكر محمد رضوان، (2015م) ص-14).

ظل هكذا في الطلب بعزيمة قوية لا تعرف شيئا من الفتور ولا الوهن حتى حصل على درجة الدكتوراه في نفس التخصص، ولم يزل محاضرا بكلية آدم أُوغي للتربية بمدينة أُرغُنغ ولاية كِبَ بشمال نيجيريا، (أبو بكر محمد رضوان، (2015م) ص-14).

نشاطه الأدبي:

كان للهجري كتب في الرواية والقصص والمسرحية، علاوة على ما له من الدواوين الشعرية الرائعة، فأصبح يمثل فحول الشعراء العرب في الشعر لاسيما فن المديح، إلا أن الملائت للنظر كان أشد ميلا إلى محاكاة السيد محمد البوصيري رائد الشعر المديح النبوي في العصر الحديث، وكان نشاطه الشعري نشاطا موفورا بمدح كل ما

أراد مدحه ويتقن فيه، مما أدى إلى إلحاقه بفحول شعراء المدح المعاصرين النيجيريين البارعين، في تناول الصفات المبتغاة للممدوح، المتلونة وفق التلون التشكيلي للصفة المناسبة والألفاظ الملائمة.

المطلب الثاني: ترجمة الشاعر جميل:

هو جميل بن محمد السادس بن عبد الله بن محمد أبا غُني، كانت ولادته سنة 1980م. في قرية تُدْنُوذَا بمحافظة مدينة زاريا، ولاية كْدُونَا نيجيريا. (أبو بكر كبير أمين، (2014م) ص-28).

نشأ جميل وترى بين أبويه منهمك إلى تحصيل العلم واكتنازه، بدأت دراسته في الكتاب على يد أبيه معلمه الأول، الذي عنى بتلقيه حروف القرآن وتحفيظه القصار من السور القرآنية، ومبادئ العلوم الإسلامية في السنوات المبكرة.

انتقل إلى المدرسة الابتدائية الإسلامية الأهلية، التي كانت متواجدة ببيت الدكتور أبي بكر الإمام بنفس الحارة، ثم لحق بالأستاذ موسى صحابي مدير المركز السلفي للدعوة والإرشاد بحارة ذاتها، وتولى تدريسه وتحفيظه القرآن، وقد رشحه كثيرا في المسابقات القرآنية، لما رأوا فيه من البديهة وسرعة الحفظ والادراك، يمثل حكومة محلية زاريا ولاية كْدُونَا، محصولا على الجوائز الثمينة في مختلف المراحل المسابقة القرآنية حفظا وتفسيرا. (خليل أحمد تنكو، (2014م) ص-35).

وفي السنة 1988م. التحق بالمدرسة الابتدائية الحكومية لدراسة العلوم الغربية، ثم الإعدادية والثانوية وتخرج فيها سنة 1998م. وفي سنة 1998م شارك جميل في الدورة التدريبية تقيمها الجامعة الإسلامية سنوياً في مدينة صُوكُونُو، نيجيريا، عام 1998م، ومن حسن حظه في الطلب حصل على المنحة الدراسية في الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، كلية القرآن الكريم والدراسة الإسلامية، وتمت دراسته حاصلاً على درجة الليسانس في علوم القراءات بدرجة الممتاز، وذلك في عام 2003م. ثم تم قبوله لمواصلة الدراسة العليا في الكلية ذاتها وحصل على درجة الماجستير في القراءات سنة 2007م.

وبعد سنة واحدة من انتهائه للماجستير وقَّع على القبول ليحضر الدكتوراه بقسم القراءات بكلية القرآن الكريم والدراسة الإسلامية بالجامعة نفسها، وتقدم ببحثه الدكتوراه بعنوان "مناهج القراء والمفسرين والنحاة في توجيه القراءات من القرن 6-8 دراسة مقارنة"، وحاز به على درجة الدكتوراه، وذلك في سنة 2004م. (جابر عبد الله ميغاري القاضي، (2024م) ص-14).

كان جميل محمد السادس شديد الحرص في العلم وطموحا على اقتناصه واكتنازه، فشرع يسعى دؤوبا وراء الطلب، لاسيما العلوم الإسلامية التي تدرج عليها، ولكن على الرغم من ميله إلى الدراسة الإسلامية لم تفته فرصة البحث عن اللغة العربية، فقد كان شغوفاً بكل ما يمت إلى الدراسة العربية بصلة، من علومها وفنونها وأسرارها، حتى أصبح ينظم الشعر الجيد في الأغراض المختلفة، غير أن مدح الشيوخ والعلماء أغزر فن طرقة، كما أثبتته الدراسة الاحصائية لديوانه. باشر جميل محمد السادس مهنة التدريس في أول الأمر بقسم اللغة العربية كلية التربية الفيدرالية بزاريا، نيجيريا، لكن لما رأى أن طبيعة العمل الحكومي لا يناسب ظروفه العادية فتنازل عنه وأفرغ أوقاته في خدمة المجتمع تعليماً وإرشاداً، عن طريق تأسيس المراكز التعليمية في مسقط رأسه ومنشأته مدينة زاريا، وفي أبُوْجَا عاصمة الدولة نيجيريا، وولاية أَدَمَاوَا بِيُولَا، كما كان له البرامج الإسلامية في مجالات مختلفة بُنِيَتْ عبر موقع وسائل التواصل الاجتماعي. (جابر عبد الله ميغاري القاضي، (2024م) ص-14).

المبحث الثاني: مفهوم ظاهرة الوضوح والغموض لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: فأما ظاهرة الوضوح لغة فقد تضاربت الأقوال حول تحديد التعريف لمصطلح الوضوح، هناك من يرى أن أصل الكلمة مصدر من "وضّح يوضح" وضوحاً، ويقال تَوَضَّح الأمر أو الكلام: أي انكشف وبان وانجلي، ومن هذا سمي الشُّجَّة التي أوضحت الرأس موضحة لانكشافها العظم". واحتج الزمخشري بقول ذي الرمة:

تَبَسَّمَ لَمَحَ الْبَرْقِ عَنْ مُتَوَضِّحٍ * كَأَنَّ الْأَقَاخِي شَافَ أَلْوَانُهَا الْفُطْرُ (الزمخشري، (2000م) ص-679).

وأما **الوضوح في الاصطلاح** فقد اختلفت أقوال النقاد النزهاء والكتاب الناهمين من القدامى والمحدثين في تحديد معناها، على اختلاف ألفاظهم وأذواقهم الأدبية، وإن كانت مدلولاتهم تكاد تتفق في المعنى، ومنهم من يرى أن المراد بالوضوح "مراعاة الشاعر حلاوة اللفظ ووضع الكلام في موضعه وصحة العبارة وقرب المعاني وانكشافه". (الجرجاني، (2000م) ص-679).

وذهب بعضهم إلى القول على أن المراد "بالوضوح أن تُوصِل الصورة الشعرية إلى إحساس الشاعر وشعوره مباشرة، دون أن تشغل المتلقي عنها غيرها، وأن الوضوح يتطلب أن تكون العلاقة القائمة بين طريفي الصورة غير مداخلية لدرجة الغموض". (علاء أحمد سيد عبد الرحيم، (2009م) ص-546). ويرى حامد صالح، أن المقصود بـ "الوضوح، مراعاة الشاعر حلاوة اللفظ وحسن التخلص، ووضع الكلام في موضعه، وصحة العبارة وقرب المعاني وانكشافه" (حامد صالح خلف الربيعي، (1992م) ص-14).

ويبدو من التعريفات السابقة أن عملية الوضوح تتطلب أن يناقش المنشئ موضوعه ويعمق التدبر فيه في إطار يكشف ما حواه ضميره بواسطة استخدام الأصوات والألفاظ والعبارات الملائمة مع مراعاة الترابط بين شكل النص ومضمونه، وذلك لا يتم إلا عن طريق استعمال اللغة الفصيحة المطردة ومراعات قوانين التعبير من حيث الفصاحة والبيان، ليكتسب لكلامه الجمال والرونق والطرافة.

الغموض في اللغة:

فلفظ الغموض "مصدر مشتق من غَمَضَ، يَغْمُضُ، غُمُوضًا، وذلك إذا استتر المعنى واستغلق فهم المراد، ويقال للأمر الخفي المغتاض، وأمر غامض، وكلام غامض، غير واضح، وهذه المسألة فيها غوامض، ومكان غامض وغمض، وسلوكوا غموض القلاة" (الجرجاني، (2000م) ص-679).

وذهب أحمد علاء "الدكتور" إلى القول بأن الكلمة مشتقة من "غمض الكلام إذا خفي مأخذه ومعناه، وأصل الكلمة من غمض يغمض غموضاً وغماضة، ويقال المكان كان غامضاً إذا عوز اقتحامه، وغمض الكلام أي أجهمه، وغمض عينه إذا أطبق جفنيها، ويقال أمر غامض مبهم مغلق" (علاء أحمد سيد عبد الرحيم، (2009م) ص-546).

وأما في الاصطلاح فورد مفهوم الغموض بأنه "وضع المعنى في موقع لا يوافقه من حيث التقديم والتأخير، أو ادخال اللفظ في اللفظ، مما يتعلق بسوء التركيب أو تكرير الحرف لغير داع، أو تكرير الصيغ بدون فواصل، أو ادخال اللفظ في معنى لا يوافق حقيقته" (الجرجاني، (2000م) ص-679)..

وذلك بسبب سوء التأليف والتعقيد، فينتج من خلال ذلك استغلاق المعنى، بحيث لا يهتدي القارئ إلى الصواب ولا يصل إلى المغزى المهدوفة فتؤدي النتيجة إلى ذلك التعطيل بعمل الأديب.

فالغموض بصرف النظر إلى هذا المنطلق تعبير عن استتار المعنى وخفائها في بناء العمل الفني، مما يجعل القارئ يمشي بغير هدي عن المعنى المهدوفة، وأن يجعله يتكابد المشاق في ادراك مدلولات العبارات أكثر مما ينبغي، وأكبر من اللازم، لكن مع ذلك ليس كل عمل أدبي يكون الغموض فيه مشيناً ومعيباً، بل يكون محموداً في موطن، كما أنه قد يكون مستهجنًا ومذمومًا في موضع آخر، وذلك على حد قول مجدي أحمد توفيق عندما يُرم عرى بياناته النقدية لهذه القضية من الغموض، فهو يرى أن الغموض مما يمدح فاعله وذلك من نحو قوله: "أنه من المركز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه كان نبهه أحلى وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف، وكانت به أذن وأشغف" (الجرجاني، (1991م) ص-142).

وعلى هذا الأساس مضى الجرجاني يفيد بشيء من نظرياته النقدية على أن قضية الغموض في العمل الفني، ليست ممقوتاً مستكرهة في جميع الأوقات بل هناك نوع من الغموض يمدح فاعله بوصف أن "ما باشر فيه الإنسان المعاناة والمتاعب، وكابد فيه المشاق على تحصيله وناله بمجد ونصب قد يكون به مسروراً والظن به أليق وأجدر، وإنما يذم هذا الجنس من الغموض إذا كان اللفظ لم يُرتب الترتيب الذي تحصل الدلالة على الغرض، حتى احتاج السامع إلى طلب المعنى متحيراً ومتوها يسعى إليها من غير هدي، لأنه أحوجه إلى فكر زائد، على المقدار الذي يجب في مثله، وكده بسوء الدلالة، وأودع له في قالب غير مستوٍ ولا مُلمس، بل خشنٌ مُضرسٌ عويص، حتى إذا رمت اخراجه منه عسر عليه، وإذا خرج خرج مشوه الصورة ناقص الحسن" (الجرجاني، (1991م) ص-142).

وبالجملة فإن طاهرة الغموض قد تكون مسئمة ومصكّة للأذان كما تكون طريفة مطربة حيناً آخر، حيث أنه يرتقي بالعمل الفني إلى الدرجة الكبيرة من الجودة أو المقت والتوبيخ، ويحقق عدم الموافقة بين المنشئ وبين المتلقي، إلى حدّ مستوى التفاعل بين النص والقارئ، الذي لا يلبث أن يسفرّ عما يتمتع ويسعد به، ويحقق بالعمل الفني إن لم يطابق الموطن، ولم يصادف مكانه اللائق يقتضيه الحال والمكان.

قد سبقت الإشارة إلى مدلول كلمة الوضوح والغموض، فيما غير من التعريفات وقد عرفهما النقاد بتعريفات عديدة حسب فهمهم وتذوقهم لهما، وأن الغموض ليس مذموماً في كل موطن، بل يكون ممدوحاً في بعض الأحيان، إذا لم يخرج بالكلام عن جماله الفني، ولم يكن المنشئ فيه مفرطاً، بحيث لم يخلف طبيعة الحال والمقام، وأما المذموم منه فهو ما عاق دون الإبانة برصد الظواهر التي تؤدي إلى الالتباس، أو التي تحجز بين المعنى والفهم، وقد حدد النقاد المواضع التي يطلب منها الوضوح عند الكلام التي تجب على الأديب مراعاتها والتزام بها حتى يكون عمله الإبداعي موصوفاً بالمرانة والروعة. وتنحصر هذه المواضع فيما يلي:

- وضوح الألفاظ.

- وضوح التراكيب.

- وضوح الصورة البلاغية.

فالشاعر الخبير بعمله الإبداعي يركز اهتمامه ارتكازاً هاماً على اختيار ما يليق لصناعته الأدبية من الألفاظ، فيضع كل لفظ في مكانه الملائم، ولكل كلمة ما يناسبها، لا أن يكون متخبطاً خبط عشواء في تناول الألفاظ، بأن يتعامل مع المفردات المهجورة الضائعة ليتظاهر على أنه عليم باللغة ومفرداتها، والمطالب أن يراعي قوانين الفصاحة ويحسن تركيب الجملة ويختار من الألفاظ ما هو أطيب، حتى يتم عمله بشكل جذاب مشوق مؤدي للغرض.

وقد يكون للفظ دلالاته اللغوية وإيقاعاته الجرسية ونغماته الموسيقية المنسجمة، التي تطرب السامع وتساعد في فهم العبارات، فليس على الأديب إلا أن ينظر إلى نوعها الموافقة لمكان الجملة، فيضعه في مكانه المناسب ومستحله الملائم، فيعطي الإجماعات الدلالية الدسمة تصب طلاً من الذوق يرتاح بها السامع، بانتظامها. ولذلك جعل قدامة بن جعفر شروطاً من وضوح الألفاظ بـ "أن تكون سمحاً سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة" (قدامة جعفر، د، ت ص-59).

وعلى هذا صار عبد الله أحمد إلى أنه من نعوت جمال اللفظ ووضوحه أن يكون "جيد السبك صحيح الطبع مع ملائمة الوضع، لأن الكلمة قد تكون تؤنس السامع في موضع، وتكون بعينها المتوحشة في موضع الآخر" (عبد الله أحمد شعيب، (2008م) ص-18).

ومعنى ذلك أنه من المفترض على الأديب المتقن أن يحسن انتقاء الألفاظ الملائمة حتى لا يكون عمله الأدبي غرضاً لسهام الكتاب الناقدين، وهو "مما لا خلاف فيه بين الباحثين من أن المراد بالكلام الإبانة، عن الأغراض التي في النفوس، وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يتخير المنشئ المتدرب من اللفظ ما هو موقّ للدلالة أو أقرب، وواضح في الإبانة عن المعنى المطلوبة، ولا يكون مستكره المورّ على النفس" (عبد الله أحمد شعيب، (2008م) ص-18). فإلى هذا المعنى يشير الجاحظ: "والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان" (أحمد أجمد بدوي، (1979م) ص-358).

وعلى العموم أن البلاغيين قد حددوا المواطن المبتغى فيها الوضوح في الإبداع الفني، كما حددوا ما يؤدي إلى الغموض في الألفاظ وهي كما في الآتي: استعمال الغريب الوحشي: وهو "كون اللفظ أو المفرد غير ظاهر المعنى ولا مألوف عند خلص العرب، ولم يكن دورانه بين الأدباء من الشعراء والناخبين من الكتاب" (عثمان مواني، (1997م) ص-202).

ومن المعروف أن الغرابة قد تنافي الوضوح والظهور والبيان في المعنى مما يعتبر قبها وفسادا في الانتاج الأدبي، نثرا كان أو شعرا. ولذلك أكد النقاد تأكيداً بالغاً عن الابتعاد عنه.

استعمال اللفظ المشترك: وهو كون "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء فيكون اللفظ المشترك منافيا لمقاييس الوضوح إذ أنه قد يؤدي استعماله إلى الالتباس واستبهام المعنى المرادة، فلا يستطيع السامع أن يقف على معناه ويهتدي إلى الصواب المأمول، إلا بالتردد المخالف للحقيقة" (أحمد أجمد بدوي، (1979م) ص-358).

استعمال الألفاظ المخالفة للعرف: وهو أن "تكون الكلمة غير جارية على العرف العربي الصحيح، شاذة،" (حامد صالح خلف الربيعي، (1992م) ص-14). ويدخل في هذا القسم كل ما "ينكره أهل اللغة ويرده علماء النحو من التصرف الفاسد في الكلمة، كأن تكون الكلمة غير عربية، أو تكون قد عبر بها من غير ما وضعت له في عرف اللغة، مما يؤدي إلى عدم وضوح المعنى" (السيوطي، (1986م) ج، 1، ص-369).

ومما ذكره النقاد أيضا في هذا الصدد ويعدونه من الأمور المنكرة المستكرهة المتعلقة بالألفاظ التي تؤدي إلى مخالفة عرف العرب ينشئ من أجلها الغموض واستغلاق المعنى وخفائها ما يلي:

- استعمال الكلمة العجمية غير العربية.
- أن يعبر بها عن غير ما وضعت له في عرف اللغة المطردة.
- الحذف أو الزيادة في حروف الكلمة على خلاف الواقع المؤلف عند الناجمين من الكتاب.
- استعمال الكلمة على الوجه الشاذ، أو الخطأ في صيغة الجمع أو غيره من الصيغ.
- ابدال حرف مكان حرف في الكلمة مما يخل فهم معناها وإدراك مدلولاتها بيسر" (قدامة جعفر، (د، ت) ص-86).

المطلب الثاني: قيمة ظاهرة الوضوح والغموض في النقد الأدبي

إن ظاهرة الوضوح والغموض احتلت مكانا مرموقاً في الأدب العربي، وتناولها النقاد بالدراسة المتكثفة، وذلك لما لها من القيمة الأدبية تتضافر بقدر كبير في رفع مستوى العمل الإبداعي إلى الدرجة العالية من التحسين أو التحطيم، إذ أن الوضوح من أكبر ما يجلب للشاعر أو الكاتب المدح والتعريف، كما أن الغموض يجلب للأديب التهوين والاستهجان لعمله الأدبي، سواء شعراً كان أو نثراً.

فالأديب مطالب بمطالبة شديدة من قبل الكتاب والنقاد بأن تكون عباراته وألفاظه وتراكيبه واضحة سلسلة عذبة، وأن يكون أسلوبه أسلوب السهل، لا أن تكون معقدة عقيمة وحشية مؤدية إلى فشل مغزى الرسالة، إذ أن التصوير ليس مجرد إيراد اللفظ فحسب، بل من واجب الأديب أن يختار من الألفاظ الأنيقة الأطيب يمكن العثور على معناها ومغزاها التعبيرية من أول الوهلة، لا أن تكون موصوفة بالحوشية المكدره لسماع المتلقي.

وكان النقاد يعدون الوضوح في الانتاج الأدبي معيارا من معايير تفضيل عمل المنشئ، يمثل جمالية النص ويزيد للكلام قيمة وجلاء، كما أنه يرفع العمل الفني إلى درجة البراعة والتمرن، على حد ما أشار إليه الدكتور أحمد علاء من أن "الوضوح يكتسب للعمل الفني رونقا ويدفع القارئ إلى متابعة النص في التشويق والطرافة حتى لا يشعر القارئ بالسآمة والملل" (علاء أحمد سيد، (2009م) ص-546).

المبحث الثالث:

دراسة موازنة نقدية لظاهرة الوضوح والغموض بين الشعارين في المديح النبوي.

المطلب الأول: قال حامد محمود إبراهيم الهجري، (الهجري، (2021م) ص-19):

أَلَا كُلُّ مَدْحٍ فِي سِوَاكَ هِرَاءٌ	أَيَّا مَنْ سَمَا فِي مَدْحِهِ الشُّعْرَاءُ
فَجَاءَكَ حَسَنًا بِنُ ثَابِتٍ مَادِحًا	وَدَانَتْ لَهُ فِي وَصْفِكَ الْأَعْدَاءُ
وَلَمَّا أَتَى كَعْبٌ بِرَبَائِثِ سَعَادِهِ	ظَنَنَّا لَقَدْ جَاءَ الْمَدِيحَ فَنَاءُ
وَلَكِنْ أَتَى الْبُرْدِيُّ لِلْمَدْحِ قَائِدًا	فَقُلْنَا الْبُوصَيْرِيُّ أَنَا لَوَاءُ
وَلَكِنْ إِنْ نَاسًا وَمَنْ كَانَ مِثْلَهُ	فَنَوَا فِيكَ حَتَّى ضَرَّهُمْ إِعْيَاءُ
وَمَاذَا يُقُولُ فِيكَ وَقَدْ أَتَى	مِنْ اللَّهِ وَالْأَمْلَاكِ فِيكَ ثَنَاءُ

فَمَوْلِدُكَ لِلْخَلْقِ قَدْ أَتَى	بِهَجَّتِهِ تَزْهُو بِهَا الْحُسَنَاءُ
وَتَبْتَسِمُ الْبُلْدَانُ بُشْرَى وَفَرْخَةً	لِأَنَّكَ فِي أَوْطَانِنَا نِعْمَاءُ
أَرَى كُلَّ يَوْمٍ مَوْلِدًا لَكَ سَيِّدِي	سَنَةً إِلَّا سَنًا وَسَنَاءُ

وبإمعان النظر إلى ما في هذه الأبيات يُدرك أن الشاعر احكم اختيار الألفاظ الواضحة، لعمله الفني غير قابلة للذم والتوبيخ، كما احكم تنظيمها وتنسيق تراكيبه تنسيقاً منسجماً ليؤدي وظيفته بصورة مكتملة، في محاولة ابداع احساسه ومشاعره نحو الممدوح، فقد أبدى من خلالها المحبة الصادقة تتماشى مع روح الموسيقى السارية في التعبير بألفاظ رقيقة سهلة الإفهام قريبة الإدراك، يختارها من خلال فكرته الثاقبة وينسقها تركيباً تنسيقاً رائعاً يترك أثراً خلافاً في القارئ والسامع.

فألفاظ الشاعر من حيث التعبير وافية لمطلوبات مقاييس الوضوح، بيد أنه عامل مع ألفاظ متجانسة ذات رنانة جرسية منسقة، التي تساعد على تحسين الألفاظ، ولم يرد فيها ما يخل بجمال التصوير من الألفاظ المتوحشة والتراكيب الركيكة أو ما يخالف قوانين اللغة الفصحى، من العجمة أو الغرابة أو المعقدة المستكرهة، التي يمجها الذوق ويطرحها السمع، أو ما يخالف القوانين النحوية والصرفية، من تقديم ما حقه التأخير أو تأخير ما حقه التقديم، أو استعمال ما شذ في اللغة مما يعد من مكدرات صفوة التعبير والبيان الفصيح.

المطلب الثاني: قال جميل محمد سادس:

كان غرض القصيدة مدح خير الأنام، محمد صلى الله عليه وسلم وبيان مكانته الخلقية والخلقية، ومتناولاً فيها مدح المدينة المنورة مهجرته صلى الله عليه وسلم، يذكر ما فيها من الآثار التاريخية والحضارية، وتشرفها على سائر المدن والبلدان.

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ أَحْلَاهُ دُرُرُ	لَا الشَّمْسُ تُشَبِّهُهَا يَوْمًا وَلَا الْقَمَرُ
يَا مَنْ عَلَتْ نَسَبَ النَّسَابِ نَسَبُهُ	وَمَنْ يُدَانِيهِ؟ وَالْأَجْدَادُ هُمْ مُضَرُّ
يَا مَنْ شَمَائِلُهُ مِسْكٌ رَوَائِحُهَا	حَتَّى تَنَافَسَ فِي إِشْمَامِهَا زَهْرُ
فَاللَّيْلِ شِيمَتُهُ وَالْجُودُ دَيْدَنُهُ	وَالصَّفْحُ مَأْلَفُهُ لَا اللَّعْنُ وَالصَّخْرُ
أَسْحَى الْوَرَى هِبَةً أَوْفَاهُمْ عِدَّةً	أَتَقَاهُمْ خَيْرًا، يُجَلِّي بِهِ الْبَصَرُ
خَيْرُ الْأَنَامِ حَيِّي دُونَهُ الْخَرْدُ	أُبْهَى الْوَرَى صُورَةً: لَا الطُّولُ وَالْقَصْرُ
صَخْرَاءُ إِصْبَتْ لَمْ تُنَكَّرْ نُبُوَّتُهُ	وَالطَّيْرُ وَالصَّخْرُ وَالصَّرْدُخُ وَالشَّجَرُ
لَمْ تَحْطَ بِلَدَّةِ قَوْمٍ مِثْلَ مَا حَظِيَتْ	بِهِ الْمَدِينَةُ لَمَّا جَاءَهَا الْخَبَرُ
عَنْ هَجْرَةِ الْمُصْطَفَى وَالصَّحْبِ كُلِّهِمْ	إِذْ سَارَ بِالْخَيْرِ الْبَادُونَ وَالْحَضَرُ

والذي يمر بمقدمة جميل الافتتاحية يجد -بلا ريب- أنها متسمة بحسن الابتكار من التجديد، حيث لم يتقيد الشاعر نفسه بما يتقيد به الشعراء الجاهلي، من وصف المحبوبة أو الراحلة أو ما شابه ذلك من تجشمت السفر للوصول إلى بيت المحبوبة التي تعتبر سمة من سمات القصيدة القديمة، فقد أجاد في اختيار هذه الفكرة، ومن الممكن أن توصف افتتاحيته بالروعة والطلاوة، إذ إنها بداية مشوقة جذابة لانتباه السامعين، ولعل الشاعر يرى أن الدخول مباشر بتصوير مناقب الممدوح دون المحايدة إلى ذكر شيء من الغزل أو بكاء الأطلال أبقى بمنزلته، وإن كان هناك تقارب بينه وبين الشعراء الذين سبقوه في تناول هذه الفكرة الافتتاحية، من أمثال بشار بن برد وغيره من الشعراء الإسلاميين في مستهل قصائدهم بهذا اللون من (نفسى فداء...) فبشّار مثلاً يقول في مدح الخليفة المهدي أحد خلفاء بني العباس:

* عَهْدَ النَّبِيِّ وَسَمْتَ الْقَائِمِ الْهَادِي، نَفْسِي فِدَاءُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ إِنَّ كُفْمُ
(مصطفى هدارة، (2002م) ص-376).

وكقول الأعرابي في مستهل قصيدته مدح بها خير البرية:

* فِيهِ الْعَقَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ
(النبهاني، (د، ت ج-1، ص-601).

وقول الشيخ أحمد المقرئ سعيد أحد عباقرة الشعر العربي النيجيري في مطلع قصيدته مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته:

نَفْسِي فِدَاءُ لِسَيِّدِنَا وَقَائِدِنَا * مَنْ أَبْسَطَ الْعَدْلَ بَيْنَ النَّاسِ مُحْتَرَمٌ
(الزغزغي، (د، ت ص-47).

ومن بمعن النظر في هذه البداية الافتتاحية بـ"نفسى فداء..." يجد بدون أدنى الشك أن الفكرة ليست جديدة من نوعها تطرقها الشاعر، بل إنها مشتركة بين الشعراء كما تمت الإشارة إلى ذلك فيمن غير، فهو بهذه البداية يعتبر مقلد وليس مجدداً، ولعل هذا التقليد ناتج عن طبيعة تأثر الشعراء بعضهم ببعض، لكن هذا التقليد ليس مانعا حازما أن يوصف مقدمة الشاعر بالجودة والطلاوة والتجديد، أو أن يُهشم قيمتها الأدبية، إذ جاء حديثه المدحي متسلسلا تظهر فيه الخبرة الإبداعية والنجابة التعبيرية من اختلاق القصيدة وبنائها بنمط غير ممقوت ولا موبخ، فإنها مشعرة بالغرض والدالة على ما بنيت عليه القريض من انصباب طل من التصوير، بحيث انبرى الشاعر يذكر بياناته النضرة نحو الممدوح، ويصوره بما تحيش في قلبه من العاطفة الصادقة وابداء ما يعانيه من حرارة الحب ولهب الشوق، المنبعث من وجد الفراق وتُعد المزار بينه وبين الممدوح، ولذلك يرى أن إظهار صدق حبه للممدوح لا يتم إلا أن يجعل نفسه فداءً له.

فكما استخدم الهجري أطيب الألفاظ وأصلبها الملائمة لصفات المبتغى للممدوح كذلك جميل لم يكن بمنعزل عنها، فقد اعتنى بهذا الجانب النابض من اقتطاف مثلها أو ما قاربها وضوحاً وجلاءً، وذلك ليحفظ عمله قريباً إلى فهم القارئ المتلقي، أضف إلى ذلك شدة ميله إلى الاقتباس بقبس من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، مما زاد لعمله رونقا وجمالا، ومن يتأمل بما في هذه الأبيات من المفردات اللغوية يلاحظ أن الشاعر استعمل أطيب الألفاظ تنبيهاً عن مدى مكانة الممدوح، توحى بالمقدرة الإبداعية الجذابة إذ جاء حديثه متسلسلا تظهر فيها النجاسة التعبيرية، من اختلاق القصيدة الممتعة وبنائها بنمط غير ممقوت ولا موبخ، مشعرة بالغرض والدالة على ما بنيت عليه القصيدة من انصباب طل من التصوير، بحيث انبرى مستعينا بالصور البيانية بصور بما تحيش في أعماق قلبه من العاطفة الصادقة وبيان ما يعانيه من حرارة الحب ولهب الشوق، المنبعث من وجد الفراق وتُعد المزار بينه وبين الممدوح، ولذلك يرى أن إظهار صدق حبه للممدوح لا يتم إلا أن يجعل نفسه فداءً له، ويصور أخلاقه بالدرر والجمان، جمالا واشراقا وحسن المنظر.

ومن يتدبر بما في الألفاظ الملتقطة لبناء صرخ هذا التصوير يدرك أنها كلها متصفة بالوضوح والإبانة، فلم تكذب لفظاً تُصام بالغموض أو تُؤيخ بالخفاء، كما أن تراكيبها كلها مرتبة ترتيباً دقيقاً حسب قوانين اللغة الفصيحة، تتآخي في تنسيقها وتنظيمها مع مقاييس الفصاحة والبيان، خالية من التعقيد المعنوي والتعقيد اللفظي، وهي بحق أن توصف بالحلاوة، وإن كانت ألفاظ القرآنية والأحاديث المنتشرة فيها بقسط وافر مما زاد لعمل الشاعر جودة وجلاء، وكل هذا وذاك من أكبر الدليل على براعته ومهارته في اصطفاء تراكيبه وألفاظه ومعانيه.

فبالموازنة بين إنتاج الشعارين في قرض شعر المديح النبوي من منطلق نظرية ظاهرة الوضوح والغموض في العبارات يتجلى بدون أدنى الشك أنهما بذلا جهدا كبيرا لا يستهان به في انتخاب الألفاظ السهلة الملائمة، وكل منهما راعى ما يطلبه العمل الفني من وضوح الألفاظ، إلا ما ندر.

كما أن تراكيبهما كلها مرتبة ترتيباً دقيقاً حسب قوانين اللغة الفصيحة، تتآخي في تنسيقها وتنظيمها مع مقاييس الفصاحة والبيان، خالية من التعقيد المعنوي والتعقيد اللفظي، وهي منسجمة مع ما تبتغيه العملية الفنية.

كما أنهما تعاملتا مع الصور الفنية الموحية للغرض من استعمال المدركات الحسية والعقلية والمعنوية لتوضيح المعاني والألفاظ، التي تتضافر بشكل وافر من الوضوح، مما كشف قدرتهما وبراعتهما على نظم الشعر في المديح النبوي.

الخاتمة

وبعد عرض أساسيات الدراسة في المقدمة، وذكر نبذة تعريفية عن الشعارين، وتوضيح معنى ظاهرة الوضوح والغموض لغة واصطلاحاً، وقيمتها في عملية النقد الأدبي، فدراسة موازنة نقدية لنظرية ظاهرة الوضوح والغموض في شعر المديح النبوي بين الشعارين، فأُسفرت الدراسة عن النتائج التالية:

- أن نشاط الأدبي العربي في المجتمع النيجيري نشاط موفور لا يقل شأنًا عن النشاط الأدبي العربي المنتج في البلاد العربية.
- أن اللغة العربية قدم راسخ في ديار نيجيريا، وأنها ما زالت ولا تزال تلعب دورا هاما ونشاطا أدبيا متنعا وإسلاميا رائعا في المجتمع النيجيري منذ أمد بعيد، بوصف أن اللغة العربية لغة الدين والتجارة والثقافة والفكري لا زالت ولا تزال تحتل حيزا كبيرا في المجتمع النيجيري.
- أن للنيجيريين شعراء مجيدين يمكن إخضاع أشعارهم لنظرية ظاهرة الوضوح والغموض في النقد العربي، كما مثلناه في هذه الدراسة.
- وأن الدراسة الموازنة النقدية لنظرية ظاهرة الوضوح والغموض لشعر المديح بين حامد محمود إبراهيم الهجري، وجميل محمد سادس أسفرت عن النتيجة المتمثلة في تعادلها في انتحاء الألفاظ السهلة السلسلة الملائمة، وكلٌّ منهما راعى ما يطلبه العمل الفني من وضوح الألفاظ، إلا ما ندر. وأن تراكيبيهما كلها مرتبة ترتيبا دقيقا حسب قوانين اللغة الفصيحة، تتآخي في تنسيقها وتنظيمها مع مقاييس الفصاحة والبيان، خالية من التعقيد المعنوي والتعقيد اللفظي، وهي منسجمة مع ما تبتغيه العملية الفنية. وأن استعمالهما الصور الفنية الموحية للغرض من استعمال المدركات الحسية والعقلية والمعنوية لتوضيح المعاني والألفاظ، التي تتصافر بشكل وافر من الوضوح، مما كشف قدرتهما وبراعتهم على نظم الشعر.

المراجع

- أبوبكر كبير أمين، (الدكتور)، (2014م) "دراسات أسلوبية في شعر جميل محمد سادس" رسالة دكتوراه مخطوطة بقسم اللغة العربية جامعة أحمد بلو زاريا نيجيريا.
- أبو بكر محمد رضوان، (2015م). " الصور البيانية في ديوان حديقة الغناء لحامد محمود إبراهيم الهجري" رسالة ماجستير مخطوطة بقسم الدراسات العربية، جامعة ولاية نصرأوكيفي نيجيريا.
- أحمد أحمد بدوي، (الدكتور)، (1079م) " أسس نقد الأدبي عند العرب" مطبعة النهضة المصرية القاهرة،
- جابر عبد الله ميغاري القاضي، (2024م) " الصور الفنية في شعر جميل محمد سادس" رسالة دكتوراه مخطوطة في الأدب بقسم اللغة العربية وآدابها جامعة المنصورة بجمهورية مصر.
- الجرجاني، عبد القاهر، (2000م) "أسرار البلاغة" دار الفكر بيروت،
- خليل أحمد تنكو، (2014م) " فن المديح لدى بعض الشعراء المعاصرين في مدينة زاريا" رسالة ماجستير مخطوطة بقسم الدراسات العربية جامعة ولاية نصرأوكيفي نيجيريا.
- الربيعي، حامد صالح خلف، (1992م) " مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء" جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الأدب والبلاغة.
- زغيزغي، أبو بكر على عباس، (الدكتور)، (د،ت) " الرسائل الشعرية لشعراء ززو في شمال نيجيريا" رسالة ماجستير مخطوطة بقسم اللغة العربية جامعة أحمد بلو زاريا نيجيريا.
- الزمشخري، جار الله، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، (2000م) " أساس البلاغة" دار الفكر بيروت لبنان.
- السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن، (د،ت) " المظهر في علوم اللغة وأنواعها" شرح وتعليق محمد أحمد جاد المولى، دار التراث القاهرة.
- عبد الله أحمد شعيب، (2008م) " بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية" دار ابن حزم بيروت.
- عثمان مواني، (الأستاذ الدكتور) (1997م) " دراسات نقدية" دار المعرفة الجامعية.
- علاء أحمد سيد، (الدكتور) (2009م) " الصور الفنية في المدح عند سناء الملك" دار العلم والإيمان مصر
- قدامة بن جعفر، (د،ت) " نقد الشعر" المكتبة الأزهرية للتراث،.
- الهجري، حامد محمود إبراهيم، (2021م) " ديوان حديقة الغناء" مكتبة مجمع الخيرات، ولاية آدمأوا نيجيريا،
- النبهازي، يوسف بن إسماعيل، (1997م). " الأنوار المحمدية من المواهب اللندنية" دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

Cite This Article: Shehu Aliyu & Umar Abdullahi Kajiji (2025).

East African Scholars J Edu Humanit Lit, 8(4), 122-130. ظاهرة الوضوح والغموض في شعر المديح النبوي بين حامد محمود إبراهيم الهجري، ومحمد جميل سادس، دراسة موازنة نقدية